مؤسسات نظام الشركة

للقديس يوحنا كاسيان

الكتاب الثامن

في روح الغضب

١٩٩٧

ترجمة

الراهب باسيليوس السرياني

مؤسسات نظام الشركة

للقديس يوحنا كاسيان

الكتاب الثامن

في روح الغضب

١٩٩٧

ترجمة

الراهب باسيليوس السرياني

عالج القديس يوحنا كاسيان خطية الغضب بفكر كتابي حيّ وعملي.

الغضب أشبه بسحابة قاتمة تحل على القلب فتفقده القـدرة على البصر. يفقد الإنسان الحكمة والفهم حتى إن تطلع إليـه الكـل كإنسان حكيم، ويفقد كرامته حتى إن بجّله الجميع.

بالغضب تفقد النفس استنارة الروح القدس، فيفقد علاقتـه بالله، ويخسر اخوته حتى الأعزاء لديه جدًا، بل ويفقد نفسه.

كثيرًا ما نبرر الغضب بالظروف المحيطة بنـا وأخطـاء الغير، بينما جرثومة الغضب تكمن في أعماق النفس الداخلية، لـذا لاق بنا أن نلوم أنفسنا لا اخوتنا.

يظن البعض أن الهروب من الناس أو العزلة هي عـلاج للغضب... إنه هروب، بينما يبقى الغضب كامنًا في الأعماق حتـى يجد الفرصة لكي يعبر عن نفسه في الوقت المناسب.

ويبرر آخرون غضبهم بما ورد في الكتاب المقـدس أن الله نفسه "يغضب". وهم يخطئون إذ يفسرون مثل تلـك العبـارات

حرفيًا، بينما لا يحمل الله انفعالات بشرية، إذ هو "حب"!

هكذا في معالجته للخطايا يوجه القديس يوحنا كاسيان أنظارنا، لا إلى التصرفات الظاهرة، بل إلى جذور الخطية الكامنة في أعماق القلب، حتى نهتم بملء الفراغ الداخلي خلال الحب الإلهي.

القمص تادرس يعقوب ملطي

الفصل الأول

كيف أن رابع صراع لنا موجه ضد خطية الغضب
وكيف أنها تلد شرورا كثيرة

في رابع قتال لنا لابد من استئصال سم الغضب القاتل من أعماق نفوسنا. فإنه مادام له وجود في قلوبنـــا، طامســا بظلامـــه المؤذي عيون نفوسنا، لا نستطيع أن نحرز الحكمة، **ولا يكون لنـــا الحكم السليم على الأمور**. ولا ننال البصيرة النفاذة التي تنبعث من التفرس الأمين أو المشورة الصالحة المختبرة. كما أننا **لن نستطيع أن نكون شركاء في الحياة**، أو داعين للبر، أو حتى يكون لنا قدرة لتلقي نور الروح الحقيقي، لأن أعيننا، على حد قول أحـــد النـــاس، يربكها ظلام الغضب. كذلك **لن نستطيع أن نكـــون شركـــاء فـــي الحكمة**، حتى إن أجمع الناس على اعتبارنا حكماء، لأن "الغضـــب مستقر في حضن الجهال"[1]. **ولا نستطيع إدراك الحياة الخالدة** على الرغم من اشتهارنا بالحصافة بين الناس، لأن "الغضب يـــهلك ذوي

---

[1] جا ٧: ١٠ .

الحصافة"[2]. أيضا لن يتيسر لنا بعدالة القلب الصافية **إحراز قوة البر الضابطة** حتى ولو كنا كاملين طاهرين في نظر الجميع، **لأن** "غضب الإنسان لا يصنع بر الله"[3]. كذلك **لن نستطيع على أي وجه أن ننال التقدير والإجلال** اللذين نشاهدهما كثيرا حتى في أبناء العالم، ولو كنا بمولدنا من طبقة الأشراف والنبلاء، لأن "الإنسان الغاضب محتقر"[4].أيضا **لن نستطيع إحراز الفكر الناضج** حتى لو توهم الناس أننا ذوو أهمية بالغة، لأن "السريع الغضب يعمل بالحمق"[5].**ما لا نستطيع التخلص من القلاقل الخطرة** أو ننجو من الخطية حتى ولو لم تحل بنا أية القلاقل من الآخرين لأن الرجل الغضوب يهيج الخصام والرجل السخوط كثير المعاصي"[6].

---

[2] لم ١٥:٢.

[3] يع ٢٠:١.

[4] لم ٢٣:١١.

[5] لم ٢٧:٤.

[6] لم ٢٩:٢٢.

الفصل الثاني

فيمن يقولون أن الغضب غير مؤذ إذا غضبنا على المخطئين، مادام الغضب قد ينسب إلى الله ذاته

لقد سمعنا البعض يحاولون تبرير هذا المرض البالغ الضرر الذي يلحق النفس، ملتجئين إلى طريقة منفرة في تفسير الكتاب المقدس لهذا التبرير، كقولهم بأنه ليس من الضرر في شيء أن نغضب على اخوتنا الذين يخطئون، ما دام الله ذاته، على حد قولهم، قد ذكر عنه أنه يسخط ويغضب على أولئك الذين لم يعرفوه أو عرفوه ثم رفضوه، وفقا للنص: "**فحمي غضب الرب على شعبه وكره ميراثه**"[٧]، أو وفقا لكلمات النبي وهو يصلي قائلا: "**يا رب لا توبخني بغضبك ولا تؤدبني بغيظك**"[٨]، غير مدركين أنهم إذ يريدون تلمس الأعذار لارتكاب خطية بالغة الإيذاء، ينسبون إلى العزة الإلهية ومصدر كل نقاء إحدى وصمات الانفعال البشري.

---

[٧] مز ١٠٦: ٤٠.

[٨] مز ٢: ٦.

الفصل الثالث

في تلك الأشياء التي نسبت إلى الله كتشبيه بالإنسان

لأن هذه الأشياء التي تقال عـــن الله إذا فســرت حرفيـا بصورة مادية قلنا أيضا أنه ينام وفقا للنص: "استيقظ يارب لمـــاذا تتغافى"[٩]، مع أنه قيل عنه في مكان آخر: "إنه لا ينعـــس ولا ينـام حافظ إسرائيل"[١٠]. وأنه **يقف ويجلس** إذ يقول: "الســموات كرســي والأرض موطئ قدمي"[١١]، مع أنه "كال بكفه: المياه وقاس السموات بالشبر"[١٢]. وهو "**معيط من الخمر**" حسب قولــه "واســتيقظ الــرب كنائم، كجبار معيط من الخمر"[١٣]، في حين أنه هو "الذي وحده لــه عدم الموت، ساكنا في نور لا يدنى منه"[١٤]. ولا داعي لذكر "**الجهل**"

---

[٩] مز ٤٤:٢٣ .

[١٠] مز ١٢١:٤.

[١١] إش ٦٦:١.

[١٢] إش ١٢:١١ .

[١٣] مز ٧٨:٦٥.

[١٤] ١ تي ٦:١٦.

و"النسيان" اللذين كثيرا ما يرد ذكرهما في الكتاب المقدس. وأخيرا وصف أعضاء الجسد التي نسبت إليه كما لو كان إنسانا، كـــالشعر والرأس والمناخر والعيون والوجه واليدين والذراعيـــن والأصـــابع والبطن والقدمين. إذا عمدنا إلى أخذها جميعا وفق معناها الحرفـــي العادي، فيلزمنا أن نفكر في الله بما يتفق مـــع صـــورة الأعضـــاء وشكل الجسم، وهذا أمر بشع حقا حتى مجرد الكلام عنه، ويتحتـــم أن نستبعده تماما عن أفكارنا.

الفصل الرابع

بأي معنى ينبغي أن ندرك العواطف والأعضاء البشرية المسندة إلى الله غير المتجسد ولا متغير

لا يمكن - دون تجديف - تفسير هذه الأشياء حرفيا عنه، وهو الذي أعلن، بنص الكتاب المقدس، أنه غير مرئـــي، لا يعـــبر عنه، غير مدرك، غير مفحوص، بسيط، غير مركب. إذن لا يمكن إسناد نزعة الغضب والسخط إلى تلك الطبيعة غير المتغـــيرة دون تجديف فظيع، إذ علينا ان ندرك أن الأعضـــاء تعنـــي قـــدرات الله وأعماله غير المحدودة، التي لا يمكن تمثيلها لنا إلا بالوصف المعتاد

للأعضاء. فينبغي أن ندرك أن الفم معناه منطوقاته التي، من رحمته علينا، تنسكب دائما في حواس النفس الخفية، أو التي تكلم بها بين الآباء والأنبياء. وأن العينين يعنيان الطبيعة غير المحدودة لبصره الذي يرى ويخترق به أستار كل شيء، ولهذا لا يخفى عليه شيء صنعناه أو يمكن أن نصنعه أو حتى ما يساورنا من أفكار. وأن اليدين ترمزان لعنايته وعمله اللذين بهما خلق جميع الأشياء وأبدعها. وأن الذراعين يرمزان لقدرته وسلطته، بهما يرفع ويحكم ويضبط جميع الأشياء. ناهيك بأشياء أخرى، كشعر رأسه الأشيب مثلا، الذي لا يعني سوى خلود الله ودوامه، فهو أزلي لا بداية لوجوده، إذ هو قبل كل الأزمان، وهو يعلو جميع المخلوقات. كذلك حين نقرأ عن غضب الرب وسخطه، ينبغي ألا نفهم اللفظ وفق معنى العاطفة البشرية غير الكريمة. إنما بمعنى يليق بالله، المنزه عن كل انفعال أو شائبة. ومن ثمة ينبغي أن ندرك من هذا أنه الديان والمنتقم عن كل الأشياء الظالمة التي ترتكب في هذا العالم. وبمنطق هذه المصطلحات ومعناها ينبغي أن نخشاه كالمجازي الرهيب على أعمالنا، وإن نخشى عمل أي شيء ضد إرادته. لأن الطبيعة البشرية قد ألفت أن تخشى أولئك الذين تعرف

أنهم ساخطون، وتفزع من الإساءة إليهم، كما هو الحال مع بعض القضاة البالغين ذروة العدالة. فالغضب المنتقم يخشاه عادة أولئك الذين يعذبهم اتهام ضمائرهم لهم. بالطبع ليس لوجود هذه النزعة في عقول هؤلاء الذين سيلتزمون تمام الإنصاف في أحكامهم، ولكن بينما هم في غمرة من هذا الخوف. فإن ميول القاضي نحوهم تتسم بالعدالة وعدم التحيز واحترام القانون الذي ينفذه. وهذا مهما سلك بالرفق واللطف موصوم بأقسى نعوت السخط والغضب الشديد، من أولئك الذين عوقبوا بحق وإنصاف.

سيكون مبعثا للملل وخارجا عن نطاق عملنا الحاضر، لو أننا شرحنا جميع الأشياء التي قيلت مجازا عن الله في الكتاب المقدس بصور بشرية، لهذا نكتفي لتحقيق غرضنا الحاضر الموجه ضد خطية الغضب بما قلناه من أنه ما من أحد، بسبب الجهل ينتزع لنفسه سببا لهذا الشر والموت الأبدي، من تلك الأسفار المقدسة، التي ينبغي أن يبحث فيها عن القداسة والخلود كأدوية شافية لنوال الحياة والخلاص.

الفصل الخامس

كيف ينبغي أن يكون الراهب هادئا

يجب على كل راهب ينشد الكمال ويرغب في أن يجاهد قانونيا في قتاله الروحي، أن يتخلص من خطية الغضب والسخط بأكملها، وأن ينصت للتحذير الذي يوجهه إليه "الإناء المختار" قائلا: "ليرفع من بينكم كل مرارة وسخط وغضب وصياح وتجديف مع كل خبث"[١٥] وحين يقول: "ليرفع من بينكم كل غضب" لا يستثني أحدا مهما كان لما تقتضيه الضرورة أو لما هو نافع لنا، وإذا احتاج الأمر فينبغي فورا أن يعالج أي أخ مخطئ بطريقة لا يكون من شأنها أن تجعله شبيها بشخص راح يعالج مريضا بحمى خفيفة فورط نفسه بغضبه وسخطه فيما أدى به إلى فقد بصره وبصيرته، ذلك لأنه ينبغي على من يريد أن يشفي جرح شخص ما أن يكون سليما معافى لا يشكو من أي ضعف، لئلا توجه إليه عبارة الإنجيل: "أيها الطبيب اشف نفسك"[١٦]، ولئلا وهو يرى القذى في عين أخيه لا

---

[١٥] أف ٤: ٣١.

[١٦] لو ٦: ٢٣.

يرى الخشبة التي في عينه. إذ كيف سيرى حتى يخرج القذى من عين أخيه، ذاك الذي في عينه خشبة الغضب؟[١٧]

الفصل السادس

في نزعتي الغضب البارة والأثيمة

تنبعث عاطفة الغضب هائجة من كل سبب تقريبا، فتطمس عيني النفس، وإذ تصيب بصرنا بخشبة مميتة لمرض أشد سوء، تمنعنا من رؤية شمس البر. ليس ثمة فارق في أن يكون لوح من رصاص أو ذهب أو أي معدن تشاء هو الموضوع فوق جفوننا، لأن قيمة المعدن لا تختلف في تأثيرها على ما يصيبنا من عمى.

الفصل السابع

في الحالة الوحيدة التي يكون فيها الغضب نافعا لنا

لابد من التسليم بأنه ثمة فائدة للغضب قد غرست ببراعة فينا، وهي وحدها التي تستطيع أن توفر لنا النفع والإفادة، ذلك مثلا عندما نغضب ونسخط على نجاسات قلوبنا، وعندما نتضايق جدا

---

[١٧] مت ٧: ٣-٥.

لأن الأشياء التي نخجل من فعلها أو ذكرها أمام الناس قد أخذت لها من حنايا قلوبنا بؤرة ووكرا، إذ نرتعد عند حضور الملائكة وفي حضرة الله نفسه، الذي يخترق أستار كل شئ في كل مكان، ويشتد فزعه لعلمه أن أسرار قلوبنا لا يمكن أن تخفى عليه.

الفصل الثامن

أمثلة من حياة داود الطوباوي كان فيها شعور الغضب مبررا

على أية وجه (هذه هي الحالة) حين ننفعل ضد هذا الغضب ذاته، لأنه تسلل إلينا ضد أحد اخوتنا، وحين ننتزع ضروب إثارته المميتة ونحن ساخطون، ولا نسمح له أن يتخذ من حنايا قلوبنا وكرا له. يعلمنا ذاك النبي أن يكون غضبنا على هذا النمط، ولذلك أبعده تماما عن قلبه، ومن ثمة لم يرد أن يثأر من أعدائه الذين أوقعهم الرب في يده، حيث يقول[18]: "اغضبوا ولا تخطئوا". لأنه حين اشتاق إلى الماء من بئر بيت لحم، واستحضره له رجاله الأشداء والذين أتوا به مخترقين ربوات جيش العدو، سكبه فورا

---

[18] مز ٤: ٥.

على الأرض، وهكذا في غضبه أخمد شعور شهوته للذة، وأراقـــها من أجل الرب، دون أن يشبع لهفته، التي كان قد أفصح عنها قائلا: "حاشا لي يا رب أن أفعل ذلك، هذا دم الرجـــال الذيـــن خـــاطروا بأنفسهم"[19]... وحين رشق شمعي بالحجارة داود، وسبه على مسمع منه أمام الجميع. وأراد أبيشاي بن صروية قائد الجيـــش أن يقطـــع رأسه ويثأر عن سبه للملك، ثار داود الطوباوي في سخط ورع ضد هذا الاقتراح البشع، وفي تواضع جم وصبر حازم قال وهو هـــادئ رابط الجأش[20]: "مالي ولكم يا بني صروية، دعوه يسب، لأن الرب قال له سب داود، ومن يقول لا تفعل هكذا. هوذا ابني الذي خـــرج من أحشائي يطلب نفسي فكم بالحري بنياميني؟ دعـــوه يســـب لأن الرب قال له. لعل الرب ينظر إلى مذلتي ويكـــافئني الـــرب خـــيرا عوض سبته بهذا اليوم".

---

[19] ٢صم٢٣:١٧

[20] ٢صم١٦:١٠-١٢

الفصل التاسع

في الغضب الذي ينبغي أن يوجه ضد أنفسنا

الوصية موجهة للبعض بأن "يغضبوا" على نمــط سـليم، بمعنى أن يوجهوا الغضب إلى أنفسهم وإلى أفكارهم الشريرة التــي تبرز، "وألا يخطئوا"، بأن يوجهوها مثلا وجهة رديئة. وأخيرا فالآية التالية تفسر هذا المعنى بكل وضوح "الذي تقولونه في قلوبكم اندموا عليه في مضاجعكم"[٢١]، أي أن كل ما تفكرون فيه بقلوبكم، عندمـــا تداهمكم الانفعالات المتوترة المفاجئة أصلحوها بالحزن النافع، ثـــم ارقدوا على فراش الراحة، وطاردوا بتأثير المشورة الصالحة كـــل صخب السخط وعجيجه. وأخيرا فإن الرسول المبارك حين استشهد بهذه الآية قائلا: "اغضبوا ولا تخطئوا" أضـــاف إليـــها: **"لا تغـــرب الشمس على غيظكم ولا تعطوا إبليس مكانا"**[٢٢]. **فـــإن كـــان مـــن الخطر أن تغرب شمس البر على غيظنا، وإذا كنا حينما نغضـــب يعطى مكانا لإبليس في قلوبنا، فكيف إذن يطلب إلينا أن نغضـــب**

---

[٢١] مز ٤:٥

[٢٢] أف ٤:٢٦.

قائلا: "اغضبوا ولا تخطئوا"؟ أليس من الواضح أنه يعني "اغضبوا على سقطاتكم وحدة طباعكم"؟ لئلا إذا استسلمتم لها يشرع المسيح شمس البر في الغروب عن عقولكم المظلمة، وحين ينصرف عنكم تصبح قلوبكم مرتعا لإبليس؟

الفصل العاشر

في الشمس التي قيل أنه ينبغي ألا تغرب على غيظكم

عن هذه الشمس نطق الوحي الإلهي على لسان النبي قائلا: "ولكن أيها المتقون اسمي، تشرق شمس البر والشفاء في أجنحتها"[٢٣]. أيضا يقال أنها "تضرب" في منتصف النهار على الخطاة والأنبياء الكذبة وأولئك الذين يغضبون حين يقول النبي: "إني أغيب شمسهم في الظهر"[٢٤]. على أية حال فإن العقل أو القوة العاقلة، التي تسمى بحق الشمس، لأنها تشرق على جميع الأفكار وإشراقات القلب، يجب عدم إطفائها بخطية الغضب، لئلا عند

---

[٢٣] مل ٤: ٢.

[٢٤] عا ٨: ٩.

"غروبها" تتسلل ظلال الانزعاج في صحبة إبليس منشئها، إلى قلوبنا وتملأ حناياها، وإذ تطمسها ظلال الغضب كأنها ظلام الليل الحالك لا نعلم ماذا ينبغي أن نفعل. هذا المعنى هو الذي دعانا أن نقدم هذه الفقرة من أقوال الرسول، التي تسلمناها مع تعاليم الآباء، لأن الحاجة كانت تدعو، ولو بالتعرض لبحث مطول، لبيان مدى شعورهم فيما يتعلق بالغضب، لأنهم لا يصرحون، ولو إلى لحظة واحدة أن نجعله يلج إلى قلوبنا، ملتزمين بعناية بالغة قول الإنجيل المقدس: "كل من يغضب على أخيه يكون مستوجب الحكم"[٢٥]. أما إذا كان الغضب حتى الغروب مباحا، فإن فيض سخطنا وانتقام غضبنا سيتمكنان من إطلاق عنان انفعال عارم خطر قبل أن تميل تلك الشمس نحو الغروب.

الفصل الحادي عشر

فيمن لا يضع غروب الشمس ذاته حدا لسخطهم

ماذا أقول عن الذين لا يضع غروب الشمس ذاته حدا لحقدهم، بل يطيلونه بضعة أيام، ويغذون شعور الغل والكراهية في

---

[٢٥] مت٥: ٢٢.

أنفسهم ضد الذين أثاروهم، وعلى الرغم من ذلك يقولون باللفظ أنهم غير غاضبين، لكنهم في الواقع وبالفعل مضطربين إلى حد السرف؟ (لا أستطيع ذكر ذلك دون أن أشعر بالعار من جانبي)... لأنهم لا يتكلمون معهم في لطف ولا يلتزمون بأبسط قواعد المجاملة عند مخاطبتهم لهم، ويظنون أنهم لا يخطئون بهذا التصرف. لأنهم لا ينشدون الأخذ بالثأر عن مضايقتهم. إن كانوا لا يجرؤن، أو على أيضا وجه لا يقدرون على الإفصاح عن غضبهم، وإطلاقه من محبسه، فإنهم يمتصون سم الغضب ويرعونه سرا داخل قلوبهم، مسيئين إلى أنفسهم أبلغ إساءة، دون محاولة لتنقية عقولهم من هذه النزعة العابسة المتبرمة. لكنهم بمرور الأيام يهضمونها في أحشائهم، وبعد حين تتلطف حدتها نوعا ما.

الفصل الثاني عشر

كيف أن خاتمة المطاف فيما يتعلق بنوبات الغضب هي عندما تستبد بالمرء فيطلق لها العنان

يبدو أن حتى هذا ليس هو خاتمة المطاف لكل إنسان، ولكن البعض يستطيعون فقط إشباع سخطهم واستيائهم إذا هم

أفصحوا عن ثورة الغضب ما استطاعوا، وهذه كما نعلم هي حالة الذين يكبتون مشاعرهم، لا بغية تهدئتها، إنما لعدم سنوح فرصة الانتقام، ذلك لأنهم غير قادرين على أن يفعلوا شيئا للساخطين عليهم سوي إغفال قواعد المجاملة المعتادة عندما يخاطبونهم، أو يبدو أن الغضب لا يتيسر تلطيفه إلا بالفعل فحسب، دون استئصاله من مكمنه الخفي في صدورنا. هكذا في قتام ظلاله السوداء نعجز ليس فقط عن تقبل النصيحة الرشيدة والمعرفة الصحيحة، بل نخفق أيضا عن أن نكون هيكلا للروح القدس، مادام روح الغضب ساكنا فينا، ولكن السخط الذي يتربع ويتغذى داخل القلب، مع أنه قد لا يؤذي الواقفين عن كثب، فإنه يطمس بهاء تألق الروح القدس، كالسخط الذي يطلق له العنان سواء بسواء.

الفصل الثالث عشر

في أنه من واجبنا ألا نستبقي غضبنا حتى ولو لحظة واحدة

كيف يمكننا الاعتقاد أن الرب قد يسمح باستبقائه ولو إلى لحظة واحدة، في حين أنه لا يأذن لنا أن نقدم قرابين صلواتنا الروحية إذا تذكرنا أن ثمة أحدا يشعر بمرارة من نحونا قائلا: "فإن

قدمت قربانك إلى المذبح، وهناك تذكرت أن لأخيك شيئـــا عليـــك، فاترك هناك قربانك قدام المذبح، واذهب أولا: اصطلح مع أخيــك، وحينئذ تعال وقدم قربانك"[٢٦]. كيف إذن نظل مخاصمين أخا لنا؟ لن أقول لبضعة أيام، بل حتى إلى غروب الشمس، مادم غير مصـــرح لنا برفع صلواتنا إلى الله بينما يوجد من له شيء علينا؟ ومع ذلـــك فالرسول يوصينا قائلا: "صلوا بلا انقطاع"[٢٧]. وأيضا: "في كل مكان رافعين أيادي طاهرة بدون غضب ولا جدال"[٢٨]. إذن فإمـــا أننـــا لا نصلي على الإطلاق، محتفظين بهذا السم في قلوبنا، ونصبح مذنبين فيما يتعلق بهذه التبعة الرسولية أو الإنجيلية، التي أمرنـــا بـــها أن نصلي في كل مكان ودون انقطاع، وإلا لو تجاسرنا علـــى تقديـــم صلواتنا، خادعين أنفسنا، وغير آبهين بوصيته، فلزام علينا أن ندرك أننا لا نقدم أية صلوات لله، إنما نقدم سلوكا عنيدا بروح متمردة.

---

[٢٦] مت٥:٢٣،٢٤.

[٢٧] ١تس٥:١٧.

[٢٨] ١تي٢:٨.

الفصل الرابع عشر

في مصالحة اخوتنا

إذ كنا كثيرا ما نمتهن اخوتنا الذيـــن نؤذيـــهم ونحزنـــهم ونستصغر شأنهم، ونقول أننا لم نضرهم بأي خطأ من جانبنا، فـــإن شافي النفوس، المطلع على جميع أسرارنا، لرغبته الكاملة فـــي أن يبدد من قلوبنا كل سوانح الغضب، لا يوصينا فقط بأن نغفر لمـــن يسيئون إلينا، ونصالح اخوتنا، وألا نحتفظ في ذاكرتنا بأية إساءة أو تعديات ارتكبوها ضدنا، لكنه يكلفنا أيضا بأننا إذا شعرنا بأن لهم أي شيء ضدنا، سواء كانوا على حق أو على غير حق، علينا أن نترك قرباننا. بمعنى أن نرجئ صلواتنـــا ونســارع أولا لاســترضائهم ومصالحتهم، وعندما يتم علاج هذا الأخ نستطيع عندئـــذ أن نقـــدم قربان صلواتنا دون عيب، لأن الرب إله الجميع لا يعنيـــه كثـــيرا قرابيننا قدر ما يعنيه فقده شخصا ما، بسبب تركنا للسخط يتحكـــم فينا. لأن خسارة أي إنسان يصيب الله، إذ هو يريد ويبحث عـــن خلاص جميع خدامه بخط واحد لا يتغير. ومن ثمة فـــإن صلاتنـــا ستفقد أثرها إذا كان لأخينا أي شيء علينا. بالضبط كما لـــو رحنـــا

نغذي مشاعر المرارة ضده بروح ساخطة متعالية.

الفصل الخامس عشر

كيف أن الشريعة القديمة تنص على استئصال الغضب ليس من الأفعال فقط بل ومن الأفكار أيضا

لماذا نصرف مزيدا من الوقت في الاستشهاد بالوصايا الرسولية والإنجيلية، في حين أن الناموس القديم الذي يظن أنه متساهل بعض الشيء يحذر من نفس الشيء، حين يقول: "لا تبغض أخاك في قلبك" وأيضا: "لا تحتد على أبناء شعبك"[٢٩]. وكذلك يقول: "طرق الذين يحتدون تؤدي إلى الموت"[٣٠]. وهكذا ترى أن الشر منهي عنه ليس بالفعل فقط بل ومن خفايا الفكر أيضا، وفقا للوصية التي تنص على استئصال الشر منن القلب، لا الانتقام للإساءة إلينا فحسب، بل ومجرد التفكير فيها.

---

[٢٩] لا ١٩: ١٧، ١٨.

[٣٠] أم ١٢: ٢٨.

الفصل السادس عشر

كيف أنه لا جدوى من خلوة أولئك الذي لا يتخلون عن سلوكهم الرديء

في بعض الأحيان عندما نقع فريسة للكبرياء ونفاذ الصبر، ونريد إصلاح سلوكنا الجاف البغيض، نشكو بأننا في حاجة إلى العزلة، كما لو كنا سنجد فضيلة الصبر والاحتمال هناك حيث لا يثيرنا أحد. ونعتذر عن إهمالنا قائلين أن علة اضطرابنا لا تصدر من نفاذ صبرنا ولكن من خطأ اخوتنا. ومادمنا نحمل الآخرين وزر خطأنا، فلن نستطيع قط أن نبلغ بغيتنا في الكمال والقدرة على الاحتمال.

الفصل السابع عشر

لا يعتمد سلام قلوبنا على إرادة الآخرين، بل في ضبطنا لعواطفنا

لزام علينا ألا نغلق الجزء الأكبر من إصلاح تفكيرنا وهدوء أنفسنا على إرادة أي شخص آخر. الأمر الذي لا يمكن بحال أن يكون خاضعا لسلطاننا. إذ هو يكمن بالأحرى في ضبطنا لعواطفنا. وهكذا ينبغي ألا يكون عدم غضبنا نتيجة لكمال الآخرين،

بل بسبب فضيلتنا الخاصة التي نحرزها لا عن طريق تحمل أي إنسان آخر لنا، ولكن لطول أناتنا وقدرتنا على الاحتمال.

الفصل الثامن عشر

في الحماسة التي ينبغي أن ننشد بها الصحراء والأشياء التي نحرز فيها تقدمنا هناك

إن الكاملين والمتطهرين من جميع الأخطاء هم الذين ينبغي أن ينشدوا الصحراء. عندما يستأصلون تماما كل هفواتهم وهم وسط اخوتهم، عليهم أن يدخلوها ليس بدافع من الفرار والجبن، إنما بغية التأمل المقدس. ورغبة في إحراز بصيرة أكثر عمقا للتغلغل بها في الأمور الإلهية، التي لا يتيسر إلا للكاملين أن يحصلوا عليها في العزلة والانفراد بأنفسهم. ذلك لأن أية سقطات نأتي بها إلى الصحراء قبل شفائنا منها، نجد أنها باقية خفية فينا وليس بوسعنا التخلص منها. فعندما تصلح طباعنا، عندئذ فقط تفتح لنا العزلة أبواب أنقى ضروب التأمل على مصراعيها، وتلهم معرفة الأسرار الروحية لدى النظرة الصافية. العزلة لا تستبقي فقط بل وتقوي أخطاء أولئك الذين لم يصلحوا أنفسهم من قبل. فالواقع أن

المرء يبدو لنفسه صبورا متواضعا مادام بعيدا عن الاحتكاك بـــأي شخص آخر، لكن سرعان ما يرتد إلى طبيعته الأولى كلما وقع مـــا يستدعي الإثارة من أيضا نوع. أعني أن تلك الأخطاء ستطفو إلـــى السطح فورا بعد أن ظلت مختفية. وكخيل مطلقة العنـــان، معنـــى بإطعامها خلال فترة طويلة جدا مـــن البطالـــة، تنطلـــق متخطيـــة الحواجز بمزيد من اللهفة والشراسة لتحطم ســـائق المركبـــة التـــي نجرها. أو عندما تزول فرصة ممارسة أخطائنا بين الناس، تـــتزايد في أعماقنا أكثر فأكثر، ما لم نكن قد تطهرنا منها قبـــل ذلـــك. إن مجرد ظلالة الصبر التي تبدو حين نختلط باخوتنا كأننا نمتلكها، في القليل بدافع من الاحترام لهم وحسن السمعة نفقدها كاملـــة بســـبب الكسل والإهمال اللذين كانا علة ترك العالم.

الفصل التاسع عشر

مثال يساعد على تكوين فكرة عن أولئك الذين يصبرون فقط إذا لم يثرهم أحد

هذا يشبه كل أنواع الأفاعي السامة والوحوش الضاريـــة التي لا تؤذي مادامت وحيدة داخل أوجرتها. ذلك لأنه لا يمكن في

الواقع الزعم بأنها غير مؤذية لأنها لا تؤذي بالفعل أحدا. لأن هـذا ناتج لا عن أي شعور بالخير، إنما بسبب ما تفرضه العزلة. وحين تتهيأ لها الفرصة لإيقاع الضرر بأي أحد، سرعان ما تنفث السم المختزن فيها، وتكشف عن شراسة طبعها. هكذا في حالة الذين يبتغون الكمال، لا يكفي ألا يغضبوا من الناس، فإننا نذكر أننا حين كنا نعيش في عزلة، كان يتسلل إلى نفوسنا شعور الغضب ضد القلم الذي نستعمله لزيادة طوله أو زيادة قصره، أو ضد المطواة لعدم حدتها، أو ضد حجر القداحة إذا طارت منه شراره تعطلنا عن المطالعة. فلا نتخلص من اضطراب ذهننا بسبب مادة جامدة أو الشيطان. وهكذا باطلا نظن بلوغ الكمال لعدم وجود من يثيرون غضبنا. فمادام لم يتم نوال الصبر فإن مشاعر السخط التي مازالت كامنة في قلوبنا يمكن إطلاق العنان لها ضد جماد أو شيء تافه، ولا تتيح لنا بلوغ حالة دائمة من السلام، أو التخلص من رواسب سقطاتنا، اللهم إلا إذا اعتقدنا أننا قد نحرز بعض النفع، ونحقق لونا من الشفاء من انفعالاتنا، إزاء الواقع من أن الأشياء التي يعوزها النطق والحياة لا تستطيع الرد على سبنا لها وسخطنا عليها أو أن تدفع نوبات غضبنا المطلقة العنان لأن تنفجر في ثورة عارمة

مخبولة أسوأ وأنكي.

الفصل العشرون

في الطريقة التي ينبغي أن نبعد بها الغضب وفقا للكتاب المقدس

لو رغبنا في إحراز جوهر الجائزة الإلهيـــة التـــي قيـــل بصددها: "طوبى للأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله"[٣١]، علينا ليس فقط أن نستبعد الغضب عن أفعالنا، بل وأن نقتلعه تمامـــا مـــن أعمـــاق نفوسنا. ذلك لأنه لن يجدي فتيلا أن نكبت الغضب في ألفاظنـــا ولا نظهره في أفعالنا، مادام الله الذي لا تخفى عنه أسرار القلوب يرى أنه مازال باقيا في خفايا صدورنا. إذ أن كلمة الإنجيـــل تأمرنـــا ان نستأصل جذور سقطاتنا وليست ثمارها. لأن هذه عند إزالة جميـــع الدوافع، لن تنبت من جديد دون شك. ومن ثمة فإن العقل يســـتطيع الاستمرار في الصبر والقداسة عند إزالة هذا الغضب، ليـــس مـــن سطح الأفعال والأعمال، إنما من أعماق الأفكار. فلتجنب ارتكـــاب جريمة القتل ينزع الغضب والكراهية اللذين بدونـــهما لا يمكـــن أن

---

[٣١] مت٥:٨.

ترتكب جريمة القتل، لأن "من يغضب على أخيه يكون مستوجب الحكم، وكل من يبغض أخاه فهو قاتل نفس"[٣٢]، لأنه في قلبه يود أن يقتله ذاك الذي نعلم تماما أنه لم يسفك دمه بين الناس بيديه أو بسلاح ما. ومع ذلك فبحكم انفجار غضبه يعلن الله أنه قاتل. فالله يحاسب كل إنسان، ليس فقط وفق نتيجة أعماله، ولكن وفق قصده ورغباته وأمنياته، إما ثوابا أو عقابا. حسب قوله على لسان النبي: "أنا أجازي أعمالهم وأفكارهم"[٣٣]. وأيضا قوله: "وأفكارهم فيما بينها مشتكية أو محتجة، في اليوم الذي فيه يدين الله سرائر الناس"[٣٤].

---

[٣٢] ايو٣:١٥.

[٣٣] إش٦٦:١٨.

[٣٤] رو٢:١٥،١٦.

الفصل الحادي والعشرون

فيما إذا كان ينبغي التسليم بإضافة "باطلا" إلى ما هو مدون بالإنجيل
كل من يغضب على أخيه...الخ"

ينبغي أن تعلم أن في هذا المدون في نسخ كثيرة "إن كل من يغضب على أخيه باطلا يكون مستوجب الحكم"[٣٥]، كلمة "باطلا" زائدة. وقد أضافها أولئك الذين توهموا أن الغضب لعلة مقبولة يصبح التجاوز عنه...

[كلمة "باطلا" غير موجودة في ترجمة أوريجينوس. ورفض جيروم وجودها في الترجمة اللاتينية المعتمدة عند الكنيسة الكاثوليكية.]

الفصل الثاني والعشرون

ضروب العلاج التي نستطيع أن نستأصل بها الغضب من قلوبنا

ينبغي على المجاهد من أجل المسيح قانونيا أن يستأصل شعور السخط. والعلاج الناجح لهذا المرض هو أن نعتزم بالدرجة الأولى على ألا نغضب إطلاقا. لا باطلا ولا على غير باطل. لعلمنا

---

[٣٥] مت٥:٢٢.

أننا سرعان ما نفقد نور البصيرة وحسن التمييز. وأمن المشورة الحكيمة. مع استقامة الرأي، وسلامة التقدير عندما تحجب ظلال الغضب وهج الضور الأساسي في قلوبنا. وثانيًا لأن نقاء نفوسنا سرعان ما يتبدد ويختفي، ومن ثمة لا تستطيع هذه النفوس أن تظل هيكلاً للروح القدس، مادامت روح الغضب كامنة فيها. وأخيرًا فإننا لابد سنحس أننا لا ينبغي أن نصلي قط. ولا أن نسكب ابتهالاتنا أمام الله مادمنا غاضبين. وفوق كل هذا، إذ أمام نواظرنا حالة الجنس البشري المتقلبة. ينبغي ألا نغفل في أيّ يوم أننا لابد سريعًا سنفارق الجسد. وإن عفافنا ولبح لشهواتنا، وتخلينا عن جميع أملاكنا واحتقارنا للثروة. وجهودنا في الأصوام والأسهار، لن تنفعنا بشيء على الإطلاق. مادام قاضي الأنام سيجازينا بالعقاب الأبدي جزاء وفاقًا على ما يستبد بنفوسنا من سخط وحقد.

